أمثلة من الترجمة

Andreas Steinhöfel
Anders

Königskinder Verlag in der Carlsen Verlag GmbH,
Hamburg 2014
ISBN 978-3-551-56006-3

138-155 صفحات

أندرياس شتاينهوفل

"مختلف"

ترجمة: هبة شلبي

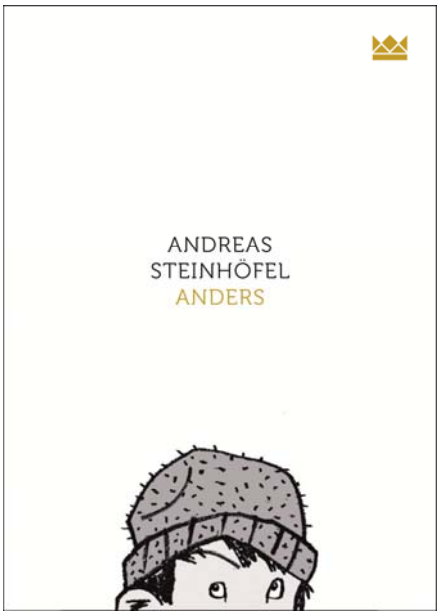

© 2015 Litrix.de

٢٦-٢٨ سبتمبر

لِمَ تسقط الملائكة

طفل يسقط من على شجرة. تفزع الأم في البداية، ثم تغضب. تتذمر وتندد وتوبّخ ثم تفرض المحظورات. يعود رد فعلها هذا لأسباب عديدة من بينها قلقها الصادق النابع من القلب على طفلها. ولكنها تخشى أيضًا أن تُعَد من قبل صديقاتها وجيرانها وزملائها في العمل أمًا سيئة غير قادر على حماية ابنها من مخاطر الحياة على نحو كاف، لاسيما أن هذا الابن قد سبق وتضرر بالفعل. وتعلم ميلاني فينتر أن النبذ الاجتماعي الفوري هو العقاب الذي يُفرَض على أمثال هؤلاء الأمهات.

© 2015 Litrix.de

بحيث يخيم الصمت لوهلة قصيرة ما أن
تطأ أقدامهن المكان.

وبحيث يتعمَّد الجميع تجاهلهن في السوبرماركت.

وبحيث يسحب مجلس الآباء الثقة منهن بعدما كن من شخصياته المفضَّلة.
وبحيث يمتنع الجميع عن تلبية دعواتهن إلى أعياد ميلاد الأطفال.

ولكنّ ميلاني فينتر على دراية جيدة بهذه الأمور. فبنفس الأسلوب أصدرت ميلاني حكمها على إكهاردت شتاكّ، بوصفه حارقًا متعمدًا محتالًا على شركة التأمين.

قال الصبي الذي يقف أمام الباب: »كيف كنتُ؟«.

»أتعني كطالب في إطار الدروس الخصوصية؟«

»لا، ليس هذا فقط. بل كصبي.«

»كنت ملولًا، لطيفًا ولكن ملولًا. ولو مرَّت ستون عامًا، لظللت لطيفًا وملولًا كعادتك. لم يكن ليحدث في حياتك أي تغيير ملحوظ. فأنت محظوظ لتعرضك لهذا الحادث.«

»لم يخبرني أحد بذلك من قبل.«

»وهو شيء لا يُقال في حقيقة الأمر. ماذا حدث لجبهتك؟ هل
استخدمت أنفك في الفرملة؟«

»شيء من هذا القبيل، كان هذا منذ أربعة أيام. أتسمح لي بالدخول؟«

تنحى شتاكّ جانبًا. ومر مختلف متاخمًا له. وانتهزت رومي تلك الفرصة وتسللت خلفه إلى داخل المنزل وتبعتها ريح باردة وشديدة. كان شتاكّ قد طردها من المنزل بعد الغذاء، أي منذ قرابة الساعة. تلك اللئيمة القذرة.

© 2015 Litrix.de

خلع مختلف سترته من تلقاء نفسه وعلّقها على خطّاف خال في خزانة الملابس. ولكنه تعين عليه الوقوف على أطراف أصابعه ليتسن له ذلك. أما شتاكّ، الذي بات منذ أيام يلعن برودة الخريف المتوغلة في عظامه، فقد راقبه باهتمام دون أن يعرض عليه المساعدة. وشعر بدفء غير متوقع يملأ كيانه.

ثم قال له: »هل وجدت المكان بسهولة؟«

أجابه مختلف وهو لا يزال منشغلًا بتعليق سترته: »أجل«.

»على الرغم من عدم قدرتك على تذكر الطريق.«

»تلك لم تكن مشكلة، فلقد وصفت لي الطريق بالتفصيل.«

»لا، لم أفعل.«

»إذن...«

وكأن شخصًا قاطعه فجأة أثناء مشاهدة فيلم أو أزعجه أثناء الاستماع إلى الموسيقى. أفلت مختلف سترته التي تدلّت أخيرًا من على الخطّاف والتفت إلى شتاكّ ببطء شديد. حاكت ملامح وجهه أقنعة أبطال التراجيديا اليونانية، أقنعة موحدة النمط ومفعمة بالمشاعر المعبرة. بدا نجل آل فينتر مستاءً بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وتراءت على جبهته تجعيدة عميقة ومنحدرة وكأن أحدًا حاول أن يحدث قطعًا عموديًا بالسكين في هذا الموضع.

خاطبه شتاكّ قائلًا: »إنني أخبرك بما أظنه.« »لقد تذكّرت. وإن كان لاشعوريًا. ولكنك تذكّرت الطريق إلى ذلك المكان الذي تلقيت فيه دروسًا خصوصية في الرياضيات. لقد اصطحبتك أمك إلى هنا كثيرًا.«

انتهت المأساة، فقد أخذت الأحداث منعطفًا

© 2015 Litrix.de

نحو الأفضل في اللحظة الأخيرة، ها قد أسدل الستار. وتلاشت التجاعيد من على وجهه واستوت جبهته الطفولية.

هل لأنني قدمت له تفسيرًا مطمئنًا، أم أنها مجرد حجة مناسبة؟

استطرد شتاكّ قائلًا: »أفترض أن هذا يحدث لك كثيرًا. وأنت لا تشعر بذلك فحسب. تقول أو تفعل أشياءً لأنك تتذكرها من دون أن تدري. ألستُ على حق؟«

»أجل. ربما.«

»هل أتيت إلى هنا في الآونة الأخيرة ليلًا أو نهارًا؟«

»لا أدري. لِمَ تسمح للدجاجة بالدخول إلى المنزل؟«

»أنت تتهرب من سؤالي.«

»لأنني لا أعلم الإجابة على هذا السؤال. لِمَ تسمح للدجاجة بالدخول إلى المنزل؟«

هزّ شتاكّ كتفيه. »ولِمَ يجوز ذلك للكلاب والقطط؟«

أشار مختلف إلى شيء ما على الأرض. فقد توجَّهت رومي إلى المطبخ مباشرة بعد أن خلَّفت في الردهة فضلات يمتزج لونها ما بين الأبيض والأخضر الزيتوني. »ربما لأنها لا تتغوط في كل مكان؟«

أشار شتاكّ بيده وقال: »أهذا ما تقصده إذن.« »أحيانًا ما تخلِّف رومي بعض اللطخ هنا وهناك، ولكنها لا تفترش كثيرًا إذا ما نُظِّفت على الفور.«

»إنها تحتوي على بكتيريا.«

»وماذا في ذلك؟ لا يخاف من البكتيريا سوى النساء، كأمك مثلًا.«

© 2015 Litrix.de

»ولكنها تحتوي حقًا على بكتيريا.«

»أيهما أحب إليك، حياة خالية من البكتيريا وفي مقابل ذلك مليئة بمواد التنظيف والحساسية؟ إذا كنت تريد أن تملي عليّ كيفية إدارة منزلي، فيمكنك أن تنصرف على الفور. فيما عدا ذلك، سأقدم لك مشروبًا.«

»لا بأس. سآخذ المشروب. هل يمكنني أن شرب الحليب؟«

»لا أعلم إن كان بإمكانك، ولكن يجوز لك ذلك.«

صب شتاكّ في المطبخ كوبًا من الحليب، وأخذ مختلف يشرب منه رشفات سريعة. ومن أسفل المنضدة اختلست رومي بعض النظرات. فكانت تصوب منقارها بين الحين والآخر بمنتهى الدقة بين ألواح المنضدة لتنقر بعض الفتات من قطعة خبز متناهية الصغر.

قال مختلف: »لم سميتها رومي؟« بدت هيئته كطفل صغير جدًا بعد أن زخرف شارب الحليب شفته العلوية.

»إنه اسم الممثلة المفضلة لدى زوجتي. رومي شنايدر.

ألم تسمع عنها قط؟ «هز مختلف رأسه.

»بطلة تلك الأفلام التي تناولت شخصية سيسي، الإمبراطورة النمساوية؟ ألم تشاهدها من قبل؟«

» لا.«

»فلتفعل ذلك يومًا ما. إنها أفلام شعبية رائعة.«

»هل هي بالأبيض والأسود؟«

»ألوان.«

أومأ مختلف برأسه وتلفَّت حوله. »ألا توجد صورة لها؟ لزوجتك؟«

© 2015 Litrix.de

»قمت بإنزالها جميعًا مع مرور الوقت. فرؤيتها أمامي يوميًا كانت تؤلمني كثيرًا.«

ابتسم مختلف ومسح بيده الشارب الذي خلفه الحليب على فمه. »فلتريني واحدة، رجاء؟«

تعيَّن على شتاكّ التفكير قليلًا ثم قال: »فلتأتي معي إلى غرفة المعيشة.«

جلس مختلف في غرفة المعيشة من تلقاء نفسه على إحدى المقاعد الثقيلة المنجَّدة المجاورة للمنضدة المنخفضة، والتي وُضِعَت عليها الصحيفة اليومية ومجلة برامج تلفزيونية. توجه شتاكّ إلى البوفيه الذي يحوي أدوات مائدة لم تُستَخدم منذ ١٥ عامًا. وكانت هناك خزنة صغيرة على البوفيه. وعلى الرغم من أن طولها وعرضها لا يختلفان عن حجم علبة الأحذية إلا أنها كانت عميقة للغاية بحيث تستوعب المراسلات وما شابه. لم تكن الخزنة مخبأة داخل الحائط كالمعهود، بل ولم تكن حتى مغلقة بإحكام. فتحها شتاكّ وأخرج منها ألبومًا للصور. وحين أحضره إلى المنضدة، أخذ مختلف يتطلَّع إليه متسائلًا.

قال شتاكّ موضحًا: »لا يوجد بالخزنة سوى هذا الألبوم، ولذا فهي ليست مغلقة بإحكام.« »أريد فقط أن أحميه من الحرائق. فمنذ أن اندلع الحريق – أسمعت بالحريق؟«

»أجل. قرأت كافة أعداد صحيفة لاند بوته للمنطقة الجبلية والتي صدرت قبل وقوع حادثي. ظننت أنني قد أتذكر أو يخطر ببالي شيء. ولكن هذا لم يحدث. لقد احترقت حظيرة الدجاج خاصتك، وظن الناس أنك تسببت في الحريق عمدًا. الحارق المتعمد.«

»ليس الجميع، البعض فقط، كأمك مثلًا.

© 2015 Litrix.de

ولذا توقفَتْ آنذاك عن إحضارك إلى الدرس الخصوصي. «ضم شتاكّ شفتيه لوهلة قصيرة. ما العذر الذي قدمه مختلف للبنفسجيين قبل أن يأتي إلى هنا؟ »حسنًا... سأحدثك يومًا ما عن ذلك الحريق. احتفظت بألبوم الصور منذ ذلك الوقت في مكان محكم وآمن. فلا يوجد في العالم ما هو أقيم من تلك الصور بالنسبة لي.«

فتح شتاكّ الألبوم. ففقزت في وجهه ذكريات، كان بإمكانه أن يخصص لها لونًا بمنتهى السهولة، درجة دافئة من اللون الجوزي الحالك الذي يتعهَّد بالصمت العذب، ولكنه كان يعلم أنه عهد وهمي. كان اللون يهمس ويتسلل إليه لمجرد أن يتملَّك من تفكيره وإحساسه كالعفن، ليقضي أيامًا، بل وربما أسابيع، في محاولات للتخلص والتحرر منه. ولذا قلب صفحة واحدة فقط من الألبوم ليجد أمامه صورة شخصية وحيدة.

»تبدو ودودة للغاية.« استشعر شتاكّ حرارة تنبعث من جسد إلى جواره، إنها أنفاس طفولية، ورأى إصبعًا صغيرًا يقتفي ملامح وجه امرأة. »هل كانت لطيفة؟ لا يمكنني رؤية الألوان في الصور.«

»ماذا؟«

لم ينصت شتاكّ تقريبًا لما قيل. فنظره كان مشغولًا بتتبع إصبع ذلك الطفل. ذلك الوجه كان مشرقًا، مشرقًا... كم تعيَّن على المرء النظر بإمعان لاكتشاف ابتسامة إلكه التي تكاد تكون غير ملحوظة. طوال ثلاثين عامًا أشعرته تلك الابتسامة ببعض السخرية من جانبها، أحبها طوال ثلاثين عامًا. كان بإمكانه أن يقتفي أثر ملامح وجهها

© 2015 Litrix.de

الأكثر دقة دون أن ينظر وأن يسمع صوتها من بين ملايين الأصوات وأن يتعرف على رائحتها من على بعد قارات. كانت ذكراها هي القلب القابع داخل قلبه، كان ينبض بلون جَوزي، جَوزي...

ثم سمع شتاكّ مختلف يقول إلى جواره: »من الأفضل أن تغلق الألبوم الآن«. »ينبغي أن نزور زوجتك بالمدافن ذات يوم.«

همس شتاكّ قائلًا: »ومتى ذلك؟«

»الآن.«

هكذا بدأت صداقتهما.

في مكان آخر بالمدينة هناك صبي قلق بشأن صديقه، ربما في اليوم نفسه، وربما في اليوم التالي. إلا أن هذا الصديق يفزعه في بعض الأحيان. ففي يوم من أيام الصيف الماضي، يوم مهرجان المدينة، تواعد كلاهما في وقت متأخر من الليل، وإذا بصديقه يخرج له من الظلام في ساحة سوق المدينة من بين عربتين من عربات موكب المهرجان. وكأنه سوادٌ ينفصل عن سوادٍ. ليتراءى له فيما بعد بقعة ضوء أكثر سطوعًا على مستوى وجهه تقريبًا، ثم بقعتان أخريتان في ذلك الموضع الذي تتدلى فيه يداه بجوار جسده. وقد هدأ روع الصبي حين اكتشف في النهاية أنه يرتدي ملابس سوداء من بنطلون وقميص قطني، إلا أن الانطباع الدائم الذي ارتبط في ذهنه بهذا الصديق هو أنه أصبح جزءًا من هذا الظلام الذي يحيط به كالشرنقة وكأنه جلد ثان.

بل وقد كان هناك طرف ثالث في الماضي. ولكنه كان في عداد الأموات،

© 2015 Litrix.de

منذ ما يقرب من عام. ثم عاد مرة أخرى، ولكن ليس في صورته السابقة، حتى أنه لم يعد قادرًا على سد تلك الفجوة التي نجمت عن غيابه. وقد ظلَّت تلك الفجوة حيزًا فارغًا؛ لا يشغلها في معظم الأحيان سوى بقعة ضوء متوهِّجة وساطعة حتى مع وجود الطرف الثالث.

ولكنّ الأمر قد تغير قليلًا منذ عودة الطرف الثالث. إذ بدأت قوى الصديق المظلم تخور. ففي المدرسة مؤخرًا صرخ في وجه طفل آخر ليفسح له الطريق. إنه لمن الغريب أساسًا أن يضطر إلى صياغة ذلك من دون أن يفسح الآخر الطريق من تلقاء نفسه! بل والأدهى من ذلك أن الطفل نظر إليه من أعلى إلى أسفل ليدير له ظهره فيما بعد من دون أن يتنحى من مكانه ولو ملليمترا واحدا. ولم يفعل الصديق المظلم أي شيء حيال ذلك. وحاول أن يقلل من شأن الأمر بأن رفع كتفيه وكأنه يقصد أن الانتقام من ذلك الطفل العنيد ليس من مستواه. ثم التفت جانبًا بشفاه الشاحبة وخدوده اللامعة، متحيرًا لا يدري أين يوجه نظره.

الطرف الثالث هو المسئول عن ذلك. فقط استطاع بأسلوبه الهادئ، غير الملحوظ تقريبًا، وفي الوقت نفسه على مرأى ومسمع من الجميع، أن يحتل مركز الاهتمام. ولديه هالة خاصة تحيط به: فهو يشعُّ هدوءًا كالذي يسري في جسدك قبل النعاس مباشرة، حينما تنزلق في أول أحلام الليل المقبل، وهو ينضح بالمواساة حينما تتزلزل أعماقك، أو يؤلمك الخوف أو يملؤك الاضطراب؛ وحين يجن عالمك،

© 2015 Litrix.de

يكفي حضوره فقط ليعيد إليه توازنه، وحين يتحطم، تصنفر ضحكاته الحواف الحادة لحطامه.

إن الفتى الصغير على علم بكل ذلك، على عكس الكبار الذين يعتبرون الطرف الثالث غريب الأطوار. أولئك الذين يحدِّقون إليه باستغراب والذين يتخذون منه موقفًا دفاعيًا بدلًا من الإقبال عليه، كبعض المعلمين في المدرسة على سبيل المثال - وهو ما ينبغي تفهمه، لأن ضوء الطرف الثالث يسطع في بعض الأحيان على نحو مبالغ فيه بحيث يثير لدى نظيره فزعًا رهيبًا من إمكانية تلاشيه فجأة بعد سطوعه مرة أخيرة بضوء فضي متشح بالبياض. وكذلك خوفًا من كل ما من شأنه أن يظهر أو يتكشَّف في ظل هذا الضوء الساطع. وهو السبب وراء إجبار الكبار أنفسهم في وقت من الأوقات على الاعتياد على السواد، ولهذا أيضًا يتجنبون الضوء. أي بدافع الخوف فقط لا غير.

وعلى الرغم من كون الصديق المظلم طفلًا، إلا أنه يعرف هذا السواد جيدًا، يعرفه منذ فترة طويلة؛ لم يكتشف الصبي السبب وراء ذلك ولم يجرؤ أبدًا على السؤال. ولكنه يعلم جيدًا أن الصديق المظلم لن يظل لفترة طويلة مكتوف الأيدي أمام تسلل إمبراطوريته القائمة على التهديدات والخوف، بل وعلى العنف أحيانًا، من بين يديه كالرمال. وألا يدعونا ذلك حتى إلى الإشفاق عليه؟ وهل سبق وتخلَّى الملوك عن عروشهم دون قتال؟ ومن ناحية أخرى: ألا يُفتَرض بنا مؤازرة الطرف الثالث، الذي لم يأتِ عن قصد لانتزاع العرش من أي طرف آخر، بل أُلقِيَت تلك المهمة على عاتقه من قبل القدر؟

© 2015 Litrix.de

إنه درب من المستحيل أن يتبنَّى المرء موقفًا في هذا الصدد. ولذا يتنقل الصبي في إطار حيز من التوتر بين ذلك الصديق الذي سقط ضحية إبَّان الفترة المظلمة، والآخر الذي يحيط نفسه بضوء ساطع يشوبه الألم.
كلاهما يثير خوفه.
ولا يريد التخلِّي عن أي منهما.

أيام الخريف التي كانت دافئة في البداية، أمست باردة وإن ظلَّت جافة، وكما هو الحال دائمًا أثار مشهد الأوراق التي اصطبغت الملايين منها بالأصفر البرتقالي والبني المائل إلى الحمرة، حالة حزن صارخة ومتواصلة لدى إكهاردت شتاكّ. بدا وأن الغابة المحيطة بحظيرة الدواجن القديمة تحترق، وفي ذلك المكان الذي جلس فيه مع مختلف على مقعد خشبي اكتسبت الأرض من تحت أقدامهما لونًا أسود واختنقت وماتت. وقد كان هذا المشهد بمثابة خلفية ملائمة لما كان شتاكّ قد وعد بأن يرويه لنجل آل فينتر حين زاره للمرة الأولى قبل أربعة أيام.
»جلستُ أمام التلفاز. وإنني دائمًا ما أرفع صوته، ليس لأنني لا أستطيع سماعه، بل لأنني أحب أن يكون صوته صاخبًا للغاية. كان يومًا جميلًا، ولم يكن حارًا للغاية، ففي حوالي الساعة الثامنة والنصف مساءً هبَّت نسيم عليلة وكان النهار لا يزال مشرقًا وكأنه في منتصفه. لا أعلم حتى اليوم ما الذي لفت انتباهي إلى الحريق – ربما الرائحة التي التقطتها أنفي قبل أن أستوعب أن هناك حريق بالفعل.« أخذ شتاكّ نفسًا عميقًا مسموعًا من أنفه وكأنه يرغب في التقاط تلك الرائحة مرة أخرى. »حسنًا، لا بأس. انطلقت إذن. وفي طريقي إلى هنا،

© 2015 Litrix.de

وبينما كنت أركض، اتصلت بالمطافئ من هاتفي المحمول. هم رجال يتصرفون على وجه السرعة ولكنهم يأتون من أقصى جنوب المدينة، وهو ما يستغرق وقتًا. كنت أعلم أن الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا، أطول من اللازم. وحين وصلت إلى الحظيرة، لم يكن هناك سبيل للاقتراب. أترى تلك البقعة هناك، وتلك هنالك حيث لازال ذلك المربع المتفحم يبرز من الأرض؟ كانت هناك حظيرة مستطيلة مبنية في هذا المكان، ومزودة بأعلاف ومعدات وأدوات بناء وأشياء من هذا القبيل. في تلك اللحظة كان الجدار الأمامي قد انهار للتو، واحترق الباب المؤدي إلى حظيرة الدواجن. ولم يكن هناك سبيل للاقتراب. أخذت حيواناتي المسكينة في الصياح. يا إلهي، كم صاحت.

إلكه، إلكه! هكذا صاح هو الآخر ... غامت نظرة شتاكّ. وأحس بدمعة تسيل على خده. أخذ نفسًا عميقًا وكاد يجزم بأن رائحة الخشب واللحم المحترق تسللت إلى أنفه مرة أخرى.«

»هل لديك فكرة من تسبب في الحادث؟«

»لا. هناك الكثير من الدوافع كالتي نعهدها في القصص البوليسية. ولكنني لا أظن أن للأمر علاقة بالحسد أو الكراهية أو الانتقام أو شيء من هذا القبيل. لا أدري من قد يحاول الإيقاع بي، ولماذا. لا، بل أظن أن من تسبب في ذلك الحادث فعل فعلته بدافع المزاح فقط لا غير. أي بلا سبب، أتتخيل ذلك؟ بلا سبب. بدافع الوحشية فحسب. أو الحماقة الغبية في أفضل الأحوال. قد يكونوا شباب. ربما أرادوا التنفيس عن غضبهم بإشعال النيران. لم تعد لدي قدرة على الاحتمال منذ ذلك الحين.«

ضحك شتاكّ باقتضاب ثم بصق. تطاير اللعاب من فمه بزاوية مستوية

© 2015 Litrix.de

وتدرحج عدة سنتيمترات على الأرض ملتقطًا بعض الغبار في طريقه ليكاد يبدو وكأنه خرزة أنيقة يمتزج فيها اللون الرمادي بالأسود.

»إنه لشعور جيد أن يتعامل المرء مع طفل مرة أخرى. كنت قد نسيت تمامًا، كم أنتم مضيئون أيها الأطفال. أنتم الضوء الساطع في ظلام العالم. هكذا أنتم، حقًا، تسعون نحو المستقبل كشُعَل متوهِّجة: مفعمون بالأمل، وبالإيمان في التغيير. أما أنا، فقد تسلل ذلك الضوء من بين يدي. لم أعد أؤمن بأن الأمور ستتغير للأفضل. ولكن منكم من سينجح في حمل ذلك الضوء معه إلى مرحلة البلوغ، وسيتمكن من حماية شعلته. ولذلك فإن موت الأطفال أمر لا يحتمل. فهم يصطحبون جزءًا من المستقبل معهم إلى عالم الموت.«

»لِمَ قد ... لم فقدت ضوئك؟«

»لا أدري. إلكه...« ضاقت أنفاس شتاكّ ورفع نظره عن الأرض المحترقة ووجهه إلى أشجار الخريف المتوهِّجة. »إن بريق النجوم التي تضيء سمائك في يوم من الأيام ينطمس شيئًا فشيئًا مع مرور الوقت. لينطفئ ذات يوم ضوءها تمامًا. فتشعر ببرودة تتسلل إلى عظامك. ويصبح كل شيء سواء، وما كان لديك سابقًا من أمل لن يبقى منه سوى حلم ووهم. وسيغشى الضباب أهدافك ومثلك العليا ولن تجد طريقًا يقودك إليها مرة أخرى. ستصبح مغلوبًا من الحياة، ولن تريد منها سوى الهدوء والاستلقاء والنوم. وستكون على علم أن من حولك أناس كثيرون يشعرون بما تشعر به، بذلك الضياع وتلك الوحدة

© 2015 Litrix.de

وبالتعب والبؤس. وأن على كل منا الإمساك بيد الآخر لنشعر جميعًا بالتحسن، لكننا لا نفعل ذلك. لا نفعل ذلك.«

صمت شتاكّ طويلًا. وفي لحظة من اللحظات شعر بيد طفولية على ساقه. تحسس تلك اليد التي تشع دفئًا وأمسكها بيده. وظن في نفسه: إذا ما ضغطت عليها مجرد ضغطة بسيطة جدًا، فسوف تتحطم كالعصفور الصغير الرقيق.

خاطبه مختلف قائلًا: »ولكنك تعيش بعيدًا عن الناس.« »بمحض إرادتك.«

أجابه شتاكّ: »بالتأكيد. لأن فكرة إمساك كل منا بيد الآخر لا تتعدى كونها وهمًا مثاليًا. »فالبشر مختلفون للغاية. فحتى وإن شعرت ذات يوم بما يشعر به جاري، فهذا ليس معناه أننا أصدقاء. مستحيل، فالنتيجة التي توصلت إليها هي أنني أُفضِّل الوحدة.«

كان مختلف قد جمع بحذائه كومه من التراب المحترق. وبدأ الآن في زحزحة تلك الكومة بأقدامه من اليسار إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار ... ثم قال: »آمل أن أتمكن من العيش وحيدًا أنا الآخر.« »حتى أحصل على بعض الهدوء. داخليًا.«

»أتظن ذلك، همم؟ ربما تكون على حق. ولكنّ الوحدة ثمنها غال. فحينما تعيش وحيدًا، سيتطلع إليك الناس بطريقة مختلفة. أما إذا ما توقّفت عن جذب انتباههم والتزمت بقواعدهم، فسيتركونك وشأنك. ولكن يا ويلك إذا ما أخفقت في أمر ما. حينها سيقفون أمام منزلك ويطالبونك بأجوبة ليس بإمكانك أن تعطيهم إياها،

© 2015 Litrix.de

وسيكيلون إليك التهم جزافًا عن كل ما يفشل في حياتهم الخاصة. طالما كان الأمر كذلك. فهو سلوك متأصل في البشر. ويقترب منهم أكثر، كلما زاد ابتعادك عنهم. لاسيما إذا ما كنت تعيش وحيدًا.«

لاحظ شتاكّ أن مختلف قد ساوى الكومة بعناية بنعل حذاءه مكونًا مساحة من ٥٠ سنتيمتر مربع. ثم بدأ في الرسم داخل تلك المساحة بطرف حذائه الأيمن. خطان مائلان يمثلان سطحًا ...

قال مختلف: »الأمر سواء بالنسبة إليك، فأنت يمكنك أن تعيش في المدينة أيضًا.« وأطال نهايات خطوط السطح المائلة إلى أسفل بخطوط عمودية.

»أما بداخلك، فأنت وحيد بالفعل، ولا أحد يستطيع أن يفعل شيئًا حيال ذلك. ولكنك لست وحيدًا من حولك. فلديك دجاجتك مثلًا. وأنا أيضًا منذ الآن.«

لم يستطع شتاكّ إلا وأن يومئ برأسه في ذهول.

ثم أكمل مختلف حديثه قائلًا: »وإذا ما أعدت الكرة وامتلكت ستين دجاجة أخرى، فستشعر بوحدة أقل بمعدل ستين مرة، وإن كان ظاهريًا على الأقل.« ثم ربط نهايات الخطوط العمودية من اليسار إلى اليمين بخط متصل. »علينا أن نعيد بناء حظيرة الدواجن. أعني بذلك أنت وأنا وأبي. سيتمكن ثلاثتنا من ذلك بكل بساطة، أليس كذلك؟«

همهم شتاكّ قائلًا: »قد ينجح الأمر.« وأخذ يتطلع إلى ذلك المنزل الذي رسمه مختلف في التراب. وضاق نفسه مرة أخرى، لسبب آخر هذه المرة. »ولكن... ألا تظن أن أبيك قد يفشي سرنا لأمك؟

© 2015 Litrix.de

»لا. سيقول لها أنه بصحبتي ونفعل شيئًا سويًا.. كسباق الدراجات.«
»أتظن أننا سنتفق معًا؟ فأنا أحب أن أكون قائدًا حين يتعلق الأمر بالعمل.«
»لا بأس، فهو معتاد على ذلك من أمي. وأنت ستحبه بلا شك. فأبي قلبه طيب.«
فقال شتاكّ مبتسمًا: »حقًا، أهذا صحيح؟« واندهش حين اكتشف أنه لا يزال ممسكًا بيد الطفل. بدت وكأنها تحترق حرفيًا، وكأن نجل آل فينتر مصاب بالحمى، إلا أن شتاكّ لم يكن قد لاحظ ذلك. ولكن، سواء لاحظ ذلك أم لا، فالنار تبقى نارًا في جميع الأحوال: فهي تستنفد ما تتغذى عليه.

طفل يسقط من على شجرة. يفزع الأب في البداية، ثم يفرح سرًا. لا يشكو ولا يلوم، بل يحافظ على هدوءه ولا يعاقب. ويعود رد فعله هذا لأسباب عديدة من بينها قلقه الصادق النابع من القلب على طفله... وعن المعرفة بأن من سبق وسقط في الماضي هو فقط من يمكنه أن يتعلَّم النهوض. ربما يتعجَّب الأصدقاء والجيران وزملاء العمل من أنه لا يعاقب ابنه، بل يوفر له الثقة والطمأنينة: في مقابل بضع قطرات زهيدة من الدماء. فليتعجبوا. فذات مرة أراد الأب أن يعلق عددين من رقم 'واحد' على السطح، بهدف إسعاد طفله في عيد مولده، كان هذا هو السبب الظاهري أما السبب الحقيقي فتمثَّل في التظاهر بمدى عظمته أمام جميع جيرانه في الشارع: كأب مثالي

© 2015 Litrix.de

ذو أفكار مثالية تجذب انتباه الجماهير. وماذا جني ابنه من ذلك؟

بكل أسف لازال ابنه يعاقبه حتى الآن باحتقار ودي على كل جهد يبذله في سبيل التعامل معه بإخلاص على نحو أكثر حكمة وأكثر اهتمامًا من الماضي.

ولكن حدث شيء مؤخرًا، إذ تعطَّف بنفحة بسيطة من كرمه وفاجأهما بأن عرض عليهما من تلقاء نفسه أن يتم تفتيح ألوان التلفاز استثنائيًا، وذلك بينما كانوا يشاهدون فيلمًا روائيًا معًا. لقد كان فيلمًا لرومي شنايدر، ليس فيلمًا عن شخصية سيسي، بل فيلم آخر من أفلامها الفرنسية الأكثر حداثة؛ وكانت في هذه اللقطة ترقد عارية على حافة حمام السباحة وهو ما أثار توتر ميلاني فينتر، إلا أن التساؤل الذي جذب انتباه مختلف هو العمق الأقصى لحمام السباحة.

ولذلك حينما أقبل مختلف ذات يوم من تلقاء نفسه على أبيه وسأله ما إن كان يرغب في بناء شيء معه، فإن أندريه فينتر لم يفكر مرتين ووافق على الفور.

وحين أوضح له مختلف أن الأمر يتعلق ببناء حظيرة دواجن جديدة لـ إكهاردت شتاكّ، تردد أندريه فينتر لوهلة قصيرة. وقد لاحظ مختلف تردد أبيه فأمسك بيده – ليسري تيار الذكريات عبر أندريه فينتر: كتلة حياة متناهية الصغر على ذراعه، خفيفة الوزن إلى أقصى حد، ذات رائحة رقيقة، وعيون رمادية داكنة لم تختلف منذ ذلك الوقت، وبكاء طفولي ناعم ورقيق يكاد لا يُسمَع. ثم مختلف اقترح إمكانية التوجه إلى شتاكّ بدراجات السباق. وأن بوسعهما إخبار ميلاني فينتر فيما بعد أنهما قد ذهبًا معًا لركوب الدراجات وبالتالي لن تكون كذبة، أليس كذلك؟

© 2015 Litrix.de

أومأ أندريه فينتر برأسه، لأن جزءًا منه قد أنصت حقًا لما قيل. وجزء آخر أخذ يفكر فيما يتعين عليه القيام به حتى لا تُسلب منه تلك اليد الصغيرة القابعة داخل يده الكبرى.

ترجمة: هبة شلبي

© 2015 Litrix.de